

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: 8]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

سَعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى بِتَجَاوُزِهِ
عَمَّنْ تَابَ إِلَيْهِ
وَأُتَابَ

لَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ أَنَّهُ إِذَا حُلَّ مَوْعِدُ الْإِسْوَادِ الثَّانِي؛ سَلَطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، فَتَظْهَرُ عَلَيْهِمْ أَثَارُ الذَّلَّةِ وَالْهَوَانِ؛ لَمَّا كَانَ ذَلِكَ؛ كَانَ كَأَنَّهُ قِيلَ: أَمَا لِهَذِهِ الْمَرَّةِ مِنْ كَرَّةٍ كَالأُولَى؟ فَجَاءَ الْجَوَابُ بِإِطْمَاعِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ (1).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿عَسَىٰ﴾: الْعَيْنُ وَالسَّيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُ تَدَوَّرُ اسْتِثْقَاتُهَا عَلَى قُرْبِ شَيْءٍ وَتَهْيِئَتِهِ لِحُصُولِ مَا يُرَادُ بِهِ مَعَ صِلَابَةٍ مَا (2)، تَقُولُ الْعَرَبُ: عَسَا الشَّيْءُ يَعْسُو، أَي: اسْتَدَّ (3).

وَمِنْ هَذَا: عَسَى، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَرْجُ، وَإِنَّمَا عُبِّرَ بِهَا عَنِ التَّرَجَّى وَالطَّمَعِ فِي بُلُوغِ مَرْغُوبٍ وَتَحْصِيلِهِ؛ لَكُونِ الرَّجَاءِ وَالطَّمَعِ فِيهِ قُوًى فِي نَفْسِ الرَّاجِي (4).

وَالْفِعْلُ عَسَى إِذَا أُسْنَدَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ يَكُونُ إِجَابًا، وَلِذَلِكَ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ، وَوَجْهُ ذَلِكَ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَتْرُكُ أَنْ يَفْعَلَ بَعِيدَهُ مَا أَطْمَعَهُمْ فِيهِ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَالْعَوَظِ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ (5).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 378 / 11.

(2) جبل، العجم الاشتقاقي للأصل: (عسو/ عسى).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عسو/ ي).

(4) جبل، العجم الاشتقاقي للأصل: (عسو/ عسى).

(5) ابن جرير، جامع البيان: 526 / 17.

(2) ﴿عُدْتُمْ﴾: العَيْنُ والواوُ والدَّالُ تدلُّ تصرّيفاتها على استِمْرارِ شَيْءٍ على وَجْهِ الامْتِدَادِ أو التَّكْرارِ والتَّجَدُّدِ⁽¹⁾، وَمِنْهُ الْعَوْدَةُ، وهي الرُّجُوعُ إلى الشَّيْءِ بعد الانصرافِ عَنْهُ، إمَّا انْصِرَافًا بِالذَّاتِ، أو بالقولِ والعَزِيْمَةِ⁽²⁾، وقولُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، أي: إذا رَجَعْتُمْ إلى الإِفْسَادِ؛ رَجَعْنَا إلى عُقُوبَتِكُمْ⁽³⁾.

(3) ﴿حَصِيرًا﴾: الحاءُ والصَّادُ والراءُ تدلُّ اشتقاقاتها على الجَمْعِ والحَبْسِ والمنعِ، وَمِنْهُ الحَصْرُ، وَهُوَ العَيْ، كَأَنَّ الكَلَامَ حُبْسَ عَنْ صاحِبِهِ، وَمُنْعٌ مِنْهُ، والحَصْرُ: ضَيْقُ الصَّدْرِ⁽⁴⁾، وَيُطْلَقُ الحَصْرُ على التَّضْيِيقِ، وَمِنْهُ قولُ اللَّهِ تعالى: ﴿وَحُذُّوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ﴾⁽⁵⁾ [التوبة: 5]، وقولُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، أي: مَحْبَسًا⁽⁶⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

يَمُنُّ اللَّهُ على بني إسرائيل فيفتَحُ لهم بابَ الرِّجاءِ في رحمته ويَحذِّرُهُم عاقِبَةَ مخالفةِ أمره، فيقول: لعلَّ رَبُّكُمْ - يا بني إسرائيل - أَنْ يَرَحِمَكُم بَعْدَ انتقامِهِ مِنْكُمْ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ يَبْغَتْهُمْ اللَّهُ تعالى عَلَيْكُمْ؛ لَيْسَوْا مَبْعُوثُهُ عَلَيْكُمْ وَجُوهَكُمْ، وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ، كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَسْتَنْقِذَكُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَيَنْتَشِلَكُمْ مِنَ الذُّلِّ الَّذِي يُجِلُّهُ بِكُمْ، فَيُعِزُّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِنْ عُدْتُمْ - يا بني إسرائيل - لِمَعْصِيَتِي وَخِلَافِ أَمْرِي؛ عُدْنَا عَلَيْكُمْ بِالْقَتْلِ والسَّيِّئِ، وَإِحْلَالِ الذُّلِّ والصَّغَارِ بِكُمْ، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ سَجَنًا يُسَجَّنُونَ فيها⁽⁷⁾.

ازتکاب المعاصي
ومخالفة الأوامر
الشرعية سببان
للذل والهوان

(1) جبل، العجم الاشتقاقي للوصل: (عود).

(2) الراغب، المفردات: (عود).

(3) السَّعْدِيُّ، تيسير الكريم الرحمن، ص: 454.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حصر).

(5) الراغب، المفردات: (حصر).

(6) ابن دريد، جمهرة اللغة: (حصر).

(7) ابن جرير، جامع البيان: 389/17، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير المبسّر، ص: 283.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

عِلَّةُ فَضْلِ الْآيَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

أَنْزِلُ الْاسْتِثْنَاءِ
الْبَيَانِيَّ فِي إِبْرَازِ
مُتَابَعَةِ الْمُتَلَقِّي
وَسَوْفِهِ

فُصِّلَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ، وهو قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (٧) [الإسراء:

١٧؛ لوقوعه استثناءً بيانياً، فبينَ الجُمْلَتَيْنِ شِبْهَ كَمَالِ الْإِتِّصَالِ؛ إِذِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَّةُ وَارِدَةٌ جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ يُفْهَمُ مِنَ الْأَوَّلَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّ أَنَّهُ إِذَا حُلَّ حِينَ الْإِفْسَادِ الثَّانِي؛ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَعْدَاءَهُمْ مَرَّةً أُخْرَى، فَيَذَلُّونَهُمْ، وَيُهَيِّنُونَهُمْ، فَأَوْرَثَ هَذَا فِي ذَهَنِ السَّامِعِ سُؤَالَ، وَهُوَ: أَمَا لِهَذِهِ الْمَرَّةِ مِنْ كَرَّةٍ كَالأَوَّلَى؟ فَجَاءَ الْجَوَابُ بِإِطْمَاعِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِيَّاهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ﴾ (١).

سِرُّ التَّغْيِيرِ بِاسْمِ اللَّهِ (الرَّبِّ):

مِنْ آثَارِ اسْمِ
الِلَّهِ (الرَّبِّ)
إِحْسَانُهُ وَرَحْمَتُهُ
بِخَلْقِهِ

اخْتِيرَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى (الرَّبِّ) فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾؛ لِأَنَّ اسْمَ اللَّهِ (الرَّبِّ) دَالٌّ عَلَى إِحْسَانِهِ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِهِ، فَهُوَ أَنْسَبُ لِسِيَاقِ ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ آثَارِ هَذَا الْإِحْسَانِ، وَهُوَ رَحْمَتُهُ سُبْحَانَهُ بِخَلْقِهِ.

دِلَالَةُ الْخِطَابِ فِي ﴿رَبُّكُمْ﴾ وَ﴿يَرْحَمَكُمْ﴾:

تَوْجِيهُ الْخِطَابِ
أَنْسَبُ لِمَقَامِ
الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ

جِيءَ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ فِي ﴿رَبُّكُمْ﴾ وَ﴿يَرْحَمَكُمْ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾؛ لِأَنَّ تَوْجِيهَ الْخِطَابِ أَنْسَبُ فِي مَقَامِ الْوَعْدِ وَذِكْرِ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ، لِمَا فِيهِ مِنْ إِظْهَارِ الْعِنَايَةِ بِالْمُخَاطَبِينَ، كَمَا أَنَّ الْخِطَابَ مُنَاسِبٌ أَيْضًا لِمَقَامِ الْوَعِيدِ وَذِكْرِ الْعُقُوبَةِ؛ لِمَا فِي التَّهْدِيدِ عَلَى وَجْهِ الْخِطَابِ مِنْ إِرْهَابِ الْمُخَاطَبِ وَتَخْوِيفِهِ مِمَّا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 378.

دلالة التعبير بالفعل المضارع «يَرْحَمَكُمُ»:

عُبر بالفعل المضارع «يَرْحَمَكُمُ» مِنْ قولِ الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمُ﴾ لأمر:

أولها: أَنَّ ذلكَ جَرِيٌّ على الأصلِ في خبرِ ﴿عَسَىٰ﴾؛ فَإِنَّ الغالبَ فيه أن يكونَ فعلاً مضارعاً مقروناً بـ (أَنَّ).

ثانيها: أَنَّ المرادَ وَعْدُهُمْ وترغيبُهُمْ بأمرٍ مستقبليٍّ، ولا يصلحُ لهذهِ الدلالةِ إلَّا الفعلُ المضارعُ.

ثالثها: أَنَّ في التعبيرِ بالفعلِ المضارعِ تعظيماً لهذا الوعدِ؛ بالإشعارِ بأنها رحمةٌ متجددةٌ دائمةٌ عليهم.

دلالة الواو في «وَإِنْ»:

الواوُ في «وَإِنْ» مِنْ قولِ الله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ يجوزُ أن تكونَ عاطفةً، والمعطوفُ عليه هو قولُ الله سبحانه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمُ﴾ مِنْ بابِ عطفِ الوعيدِ على الوعدِ والترهيبِ على الترغيبِ. ويجوزُ أن تكونَ الواوُ اعتراضيةً، والجملةُ بعدهُ جملةٌ مُعترضةٌ لإرادةِ التهديدِ⁽¹⁾، ويمكنُ أن تكونَ الواوُ للحال، ويصيرُ المعنى: عسى ربكم أن يرحمكم، والحالُ أَنَّهُ إنْ عُدْتُمْ للمعصية؛ عدنا عليكم بالعدائين: الدنيويِّ والأخرويِّ.

سرُّ التعبيرِ بـ (إِنْ):

في التعبيرِ بحَرْفِ الشرطِ (إِنْ) مِنْ قولِ الله ﷻ: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ - وهي دالةٌ في أصلِ وضعِها على الشكِّ، وعدمِ الجزمِ بوقوعِ الشرطِ - إيماءٌ إلى أَنَّهُ لا يَنْبغي لَهُمْ أَن يَعودوا⁽²⁾، فمع أَنَّ العودَ متحققٌ فيهم، إلَّا أَنَّهُ عاملُهُم معاملةً من يقعُ فيهم ذلكَ نادراً، ففي

تَعْظِيمُ وَعْدِ اللَّهِ
تَعَالَى وَالْإِشْعَارُ
بِتَجَدُّدِ رَحْمَتِهِ
وَدَوَامِهَا عَلَيْهِمْ

طَرِيقَةُ الشَّرَاحِ
الْكَرِيمِ الْجَمْعُ
بَيْنَ الْوَعْدِ
وَالْوَعْدِ

تَيْئِيسُهُمْ مِنْ
الْوُصُولِ إِلَى
الْمَلِكِ الْعَظِيمِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 38 / 15.

(2) الألوسي، روح المعاني: 22 / 8.

استعمالها خروجٌ عن الظاهر دون مقتضى الحال، وفيها الإشعارُ بأنَّهم بعدَ العذابِ الشَّدِيدِ المُتَقَدِّمِ؛ (يَبْتَئِسُونَ مِنْ أَنْ يَتَحَرَّكُوا تَحَرُّكَاتٍ يَرَوْنَ أَنَّهَا قَدْ تَوَصَّلَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الَّذِي يَطْمَعُونَ فِيهِ) (1).

دِلَالَةُ الْإِسْنَادِ فِي ﴿عُدْنَا﴾:

أُسْنِدَ فِعْلِ الْعَوْدِ إِلَى ضَمِيرِ الْعِظَمَةِ (نَا) فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾؛ لِلإِيْمَاءِ إِلَى عَظَمَةِ الْعَذَابِ الَّذِي يُسَلِّطُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ حَالَ عَوْدَتِهِمْ لِمَعْصِيَتِهِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ (2).

دِلَالَةُ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ الْعَوْدِ:

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ فِعْلِ الْعَوْدِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، وَالتَّقْدِيرُ: (إِنْ عُدْتُمْ إِلَى الْمَعْصِيَةِ وَمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ؛ عُدْنَا إِلَى عِقَابِكُمْ وَإِذْلَالِكُمْ) (3).

وَفِي حَذْفِ الْمُتَعَلِّقِ مِنَ الْأَوَّلِ إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمُ الْعَوْدُ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، فَطَوِيَ مِنَ اللَّفْظِ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ صِلَاحِيَّةِ إِبْرَارِهِ فِي الْوَاقِعِ، دَفْعًا لَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْ خِلَالِ سِتْرِ مَعَاصِيهِمْ، وَحُذِفَ الْمُتَعَلِّقُ مِنَ الثَّانِي تَعْظِيمًا وَتَهْوِيلًا.

دِلَالَةُ الْوَاوِ فِي ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

الْوَاوُ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، عَاطِفَةٌ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جُمْلَةٍ: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾، وَالْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ إِفَادَةُ أَنَّ مَا ذُكِرَ قَبْلُ مِنَ الْعِقَابِ إِنَّمَا هُوَ عِقَابٌ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ وَرَاءَ ذَلِكَ عِقَابًا عَظِيمًا فِي الْآخِرَةِ (4).

دِلَالَةُ فِعْلِ الْجَعْلِ: ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

مِنْ مَعَانِي فِعْلِ الْجَعْلِ التَّحْوِيلُ وَالتَّصْيِيرُ، وَلَكِنَّهُ فِي قَوْلِ اللَّهِ

عَظَمَةُ عَذَابِ
الهِ تَعَالَى
لَنْ يُصِرَّ عَلَى
مَعْصِيَتِهِ
وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ

تَعْظِيمُ الْعُقُوبَةِ
وَتَهْوِيلُهَا

اجْتِمَاعُ عَذَابِ
الدُّنْيَا وَعَذَابِ
الْآخِرَةِ فِي أَهْلِ
الْكُفْرِ

بَيَانُ الْوُضُفِ
الَّذِي خُلِقَتْ
عَلَيْهِ جَهَنَّمُ
اِبْتِدَاءً

(1) المبداني، معارج التفكر: 9 / 562.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 11 / 378.

(3) أبو حيان، البحر المحیط: 7 / 17.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15 / 39.

سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، بمعنى الخلق، أي: ابْتَدَأْنَا خَلَقَ جَهَنَّمَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ جَهَنَّمَ مُنْتَفِيًا عَنْهَا هَذَا الْوَصْفُ، ثُمَّ أُوجِدَ فِيهَا، فَهُوَ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: سُبْحَانَ الَّذِي جَعَلَ اللَّبْنَ أَبْيَضَ! فَاللَّبَنُ لَمْ يَكُنْ لَهُ لَوْنٌ غَيْرُ الْبَيَاضِ، فَحَوَّلَ إِلَى الْبَيَاضِ، وَإِنَّمَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ابْتِدَاءً⁽¹⁾.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي: ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

عُبِّرَ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي ﴿وَجَعَلْنَا﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ لِتَحْقِيقِ هَذَا الْإِيجَادِ، فَإِنَّ جَهَنَّمَ مَوْجُودَةٌ قَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا هِيَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهَذَا أُبْلَغُ فِي التَّهْدِيدِ وَالْوَعْدِ، فَإِنَّهُ إِذَا تَوَعَّدَ بِعَذَابٍ مَوْجُودٍ؛ كَانَ أَوْقَعَ فِي النَّفْسِ مِنَ التَّوَعُّدِ بِعَذَابٍ سَيُوجَدُ.

التَّهْدِيدُ بِعَذَابٍ
مَوْجُودٍ أُبْلَغُ
وَأَوْقَعَ فِي النَّفْسِ

دِلَالَةُ الْإِسْنَادِ فِي: ﴿وَجَعَلْنَا﴾:

أُسْنِدُ فِعْلِ الْجَعْلِ إِلَى الضَّمِيرِ (نَا) الدَّالُّ عَلَى الْعِظَمَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، تَهْوِيلًا لَشَأْنِ جَهَنَّمَ وَشَأْنِ وَصْفِهَا الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ؛ إِذِ الَّذِي صَيَّرَهَا بِذَلِكَ الْوَصْفِ هُوَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﷻ، وَمَا يَصْدُرُ مِنَ الْعَظِيمِ عَظِيمٌ.

تَهْوِيلُ شَأْنِ
جَهَنَّمَ وَتَفْخِيمُهُ

مَعْنَى حَرْفِ الْجَرِّ (الَّذِي):

حَرْفُ الْجَرِّ (الَّذِي) فِي ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ لِلِاخْتِصَاصِ وَشِبْهِ الْمَلِكِ، وَفِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ بِمَلَاذِمَةِ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ مَلَاذِمَةُ الشَّيْءِ لِمَالِكِهِ، وَلَمَنْ هُوَ مُخْتَصَّ بِهِ، فَتَكُونُ الْفَائِدَةُ حِينَئِذٍ التَّهْكُمُ مِنْهُمْ، وَذَلِكَ مَفِيدٌ خُلُودُهُمْ فِيهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى أَكَدَّتْهُ الْفَاصِلَةُ - ﴿حَصِيرًا﴾ - وَقُوَّتُهُ؛ إِذْ مِنْ مَعَانِي (الْحَصِيرِ): الْمَحْبَسُ الَّذِي لَا خَلَاصَ لِصَاحِبِهِ مِنْهُ.

مَلَاذِمَةُ جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ مَلَاذِمَةُ
الشَّيْءِ لِمَالِكِهِ

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 14 / 8372.

سِرُّ التَّضَرُّيحِ بِوُضُفِ الْكُفْرِ فِي: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾:

تَغْمِيمُ التَّهْدِيدِ
بِجَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ
جَمِيعًا

في قولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ تصريحٌ بالاسمِ الظَّاهِرِ (الكافرين) بَعْدَ الإِضْمَارِ عَلَى وَجْهِ الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ﴾، ففي الآية: إظهارٌ في موضع الإِضْمَارِ، وَنُكْتَتُهُ تَغْلِيْقُ الْحُكْمِ بِهِ عَلَى سَبِيلِ الرُّسُوحِ، وَتَغْمِيمُهُ فِي الْمُخَاطَبِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَالتَّسْجِيلُ عَلَى كُفْرِهِمْ بِالْعَوْدِ، وَذَمُّهُمْ بِذَلِكَ⁽¹⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ عَنْ كُفْرِهِمْ بِالاسْمِ فِي: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾:

الإِيمَاءُ إِلَى أَنَّ
كُفْرَهُمْ دَائِمٌ
مَلَاذِمٌ لَهُمْ

عَبَّرَ عَنْ كُفْرِهِمْ بِالاسْمِ (الكافرين) دُونَ الْفِعْلِ - بَأَنَّ يَأْتِي الْفِعْلُ صِلَةً لِمَوْصُولٍ قَبْلَهُ - فَلَمْ يَرِدْ فِي النِّظْمِ الْقُرْآنِيِّ: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا)؛ لِأَنَّ الْاسْمَ دَالٌّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَيَدُلُّ عَلَى اللُّزُومِ وَالِدَوَامِ بِالْقِرَائِنِ، كَمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ فَإِنَّ وَعِيدَهُمْ وَتَهْدِيدَهُمْ قَرِينَةٌ عَلَى أَنَّ كُفْرَهُمْ دَائِمٌ مَلَاذِمٌ لَهُمْ، لَمْ يَنْفَكُوا عَنْهُ، وَلَمْ يَرْعَوْا.

نُكْتَةُ اخْتِيَارِ جَمْعِ السَّلَامَةِ: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾:

تَغْلِيْقُ الْحُكْمِ
بِالْوُضُفِ
لِلنَّاسِبِ وَالتَّنْبِيْهِ
عَلَى عِلَّةِ الْحُكْمِ

اخْتَبَرَ جَمْعَ السَّلَامَةِ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾؛ لِإِرَادَةِ الْوَصْفِيَّةِ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الْحَدَثِ، وَهُوَ مُشَابِهٌ لِلْفِعْلِ فِي عَمَلِهِ، وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَمَكُّنِ الْفِعْلِ فِي صَاحِبِهِ حَتَّى بَاتَ اسْمًا لَهُ، فَهُوَ أَنْسَبُ لَتَغْلِيْقِ الْحُكْمِ وَإِفَادَةِ التَّعْلِيلِ، بِخِلَافِ (الْكُفَّارِ)، فَإِنَّهَا أَنْسَبُ فِي مَقَامِ الْاسْمِيَّةِ لَا الْوَصْفِيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ جَمْعَ التَّكْسِيرِ يُبْعِدُ اللَّفْظَ عَنْ إِرَادَةِ الْحَدَثِ وَالْوُضُفِ، وَيُقَرِّبُهَا إِلَى الْاسْمِيَّةِ.

مَعْنَى لَامِ التَّعْرِيفِ فِي: ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾:

اللَّامُ فِي ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/ 379، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 158، والآلوسي، روح المعاني: 8/ 22.

لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿ تَدُلُّ عَلَى الاسْتِغْرَاقِ، فَتَكُونُ الْآيَةُ عَامَّةً فِي
المَخَاطَبِينَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ
لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ جَارِيًا مَجْرَى التَّذْيِيلِ⁽¹⁾.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ لِلْكَامِلِ، أَي: جَعَلْنَا جَهَنَّمَ حَصِيرًا لِلْكَامِلِينَ
فِي الْكُفْرِ؛ إِذْ مِنَ الْكُفْرِ مَا هُوَ كُفْرٌ أَصْغَرُ لَا يُوْجِبُ الْخُلُودَ فِي جَهَنَّمَ.
وَلَا تَعَارُضُ بَيْنَ الدَّلَالَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ دَالَّةً عَلَى
الْكَامِلِ وَعَلَى الاسْتِغْرَاقِ، أَي: اسْتِغْرَاقِ أَفْرَادِ الْكُفَّارِ الْكَامِلِينَ فِي
الْكُفْرِ؛ فَإِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ وَقَعَ عَلَيْهِمْ هَذَا الْوَعِيدُ وَالتَّهْدِيدُ.

بِدَلَالَةِ صِيغَةِ (فَعِيلٍ):

لَفْظَةُ ﴿حَصِيرًا﴾ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا﴾ عَلَى وَزْنِ (فَعِيلٍ)، وَهُوَ إمَّا بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ أَوْ بِمَعْنَى
اسْمِ الْمَفْعُولِ⁽²⁾، أَي: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ جَهَنَّمَ مَكَانًا حَاصِرًا وَحَاصِسًا
لِلْكَفَّارِ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهُ، أَوْ إِنَّ اللَّهَ ﷻ جَعَلَهَا مَكَانًا
يُحَصِّرُ فِيهِ الْكُفَّارَ، وَهُمَا مَعْنِيَانِ مَتَّيْلَانِ.

وَلَيْسَتْ ﴿حَصِيرًا﴾ فِي الْآيَةِ صِيغَةً مَبَالِغَةً؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ؛
لَرَمَتْهَا التَّاءُ لَجْرِيَانِهِ عَلَى لَفْظِ مُؤَنَّثٍ ﴿جَهَنَّمَ﴾، وَلَكِنَّهُ بِمَعْنَى اسْمِ
الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى النِّسْبِ، وَالتَّقْدِيرُ:
(وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ ذَاتَ حَصِيرٍ)، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿السَّمَاءُ
مُنْفِطِرَةٌ بِهَاءٍ﴾ [الزمل: 18] أَي: ذَاتَ انْفِطَارٍ⁽³⁾.

❁ الْفُرُوقُ الْمُعْجِمِيَّةُ:

الْعَوْدُ وَالرَّجُوعُ:

الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 39 / 15.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 39 / 15.

(3) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 250.

اسْتِغْرَاقُ أَفْرَادِ
الْكُفَّارِ الْكَامِلِينَ
فِي الْكُفْرِ بِالْوَعِيدِ
وَالْتَّهْدِيدِ

جَهَنَّمَ مَكَانٌ
حَاصِسٌ لِلْكَافِرِينَ
لَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ

الْعَوْدُ أَعَمُّ مِنَ
الرَّجُوعِ عُمُومًا
مُطْلَقًا

يُطْلَقُ الرُّجُوعُ عَلَى فِعْلِ الشَّيْءِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَعَلَى مَصِيرِهِ إِلَى حَالٍ كَانَ عَلَيْهَا، أَمَّا الْعَوْدُ: فَلَهُ اسْتِعْمَالَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا تَقَدَّمَ فِي الرُّجُوعِ، وَهُوَ الاسْتِعْمَالُ الْحَقِيقِيُّ لَهُ، وَالْآخَرُ: فِي ابْتِدَاءِ الشَّيْءِ مِنْ غَيْرِ تَقَدُّمِ فِعْلِهِ، وَهَذَا الْإِطْلَاقُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿*قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْبَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: 88]، فَإِنَّ الْمَرَادَ: تَدْخُلَنَّ فِي مِلَّتِنَا؛ فَإِنَّ شُعَيْبًا ؑ لَمْ يَكُنْ فِي مِلَّتِهِمْ قَبْلُ حَتَّى يَطْلُبُوا مِنْهُ الرُّجُوعَ إِلَيْهَا⁽¹⁾.

الرَّحْمَةُ وَالْعَفْوُ:

الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: أَنَّ أَصْلَ الرَّحْمَةِ: الرَّقَّةُ وَالْعَطْفُ⁽²⁾، وَأَصْلُ الْعَفْوِ: الْمُحْوَوْتُ رُكَّ الشَّيْءِ⁽³⁾.

ثَانِيَهُمَا: أَنَّ الرَّحْمَةَ فِيهَا تَحْصِيلُ الْمَطْلُوبِ⁽⁴⁾، وَالْعَفْوُ فِيهِ زَوَالُ الْمَكْرُوهِ مِنْ أَثَارِ الذُّنُوبِ أَوْ التَّقْصِيرِ؛ وَلِذَا غَلَبَ اسْتِعْمَالُ الْعَفْوِ فِي تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ.

فَالرَّحْمَةُ أَبْلَغُ مِنَ الْعَفْوِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ فِيهَا تَحْصِيلَ الْمَطْلُوبِ وَالْمَرْغُوبِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عَادَةً إِلَّا بَعْدَ زَوَالِ الْمَكْرُوهِ.

الرَّحْمَةُ
لِتَحْصِيلِ
الْمَطْلُوبِ وَالْعَفْوِ
لِإِزَالَةِ الْمَكْرُوهِ

(1) أبو حيان، البحر المحیط: 17/7.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رحم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عفو)، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (عفا).

(4) ابن عثيمين، تفسير الفاتحة والبقرة: 66/3.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-25-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05 م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»